

الفصل الخامس

ما بعد نادي الطليعة

يغطي هذا الفصل الفترة من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٢، التي تمتد من تاريخ خروج أعضاء نادي الطليعة من السجن حتى سفري للدراسة الجامعية في مصر. يتضمن الفصل الاقسام التالية : ١- استمرار روح نادي الطليعة : ٢- الدراسة هي العوض : ٣- منطقة أم غويلينه: ٤- أزمة مالية وضائقة في المجتمع .

استمرار روح نادي الطليعة

فقدان نادي الطليعة بالنسبة لأعضائه والمتفاعلين مع نشاطاته، ترك فراغا كبيرا كان لا بد من ملئه. وقد كان تركيز أعضاء النادي على الدراسة النهارية منها والليلية من أجل نيل الشهادة الجامعية، وكذلك تماسك العلاقة بينهم واستمرار اهتماماتهم بالشأن العام، هما البديل المتاح لملء الفراغ الذي تركه تسكير نادي الطليعة.

ولعل الفراغ الذي تركه نادي الطليعة، قد حفز أعضاءه ليكونوا من بين أوائل الخريجين القطريين في مختلف المستويات الدراسية. كما شجعهم على إبقى روح نادي الطليعة و مساهمته في العمل الثقافي والوطني مستمرة عبر الزمن على نحو من الأنحاء مهما خفت.

فبعد أن تم إغلاق نادي الطليعة تحول أعضاء النادي والمتفاعلين معهم عبر الزمن، إلى طيف ثقافي وطني تجمعهم القضايا والاهتمامات. طيف غير منظم ولكنه متواصل وحاضر في حياة قطر الثقافية والوطنية، يعبر عنه أعضاء النادي ومن التقى معهم في مرحلة من المراحل، يعززون الاهتمامات والمبادرات والمطالب الوطنية.

يضعف صوت هذا الطيف أو يقوى أحيانا بما يعترى الروح الوطنية للشعب القطري من قوة أو وهن، وما يتعرض له القطريون من ضغوط وتقلبات، ولكنه ظل طيفا موجودا بأشكال وتعبيرات تلقائية، ناظمها الاساسي هو السعي للإصلاح في قطر والمساهمة المتواضعة في تعزيز التضامن العربي ورفع الوعي بضرورتهما، والعمل مع بقية الاطيف الوطنية والقومية ما أمكن العمل من أجلهما.

أن الإشاعات التي رُوِّجت ضد النادي والاتهامات الباطلة باحتوائه أسلحة ومتفجرات، لم يكن لها أساس من الصحة، ولم تجد الحكومة ما تأخذه على النادي أو تأخذ أعضائه عليه، بعد أن هاجمت قوات الأمن - بعنف - مقر النادي واعتقلت من كان فيه وفتشت كل ركن في مبنى النادي، وقامت بسجن أعضاء النادي لمدة ثلاثة أسابيع دون وجود ما يبرر إجراء تحقيق مع أي عضو من أعضاء النادي.

وربما تكون تلك الاشاعات التي رُوِّجت لوجود أسلحة ومتفجرات في نادي الطليعة هي مجرد ذرائع لسياسة ثابتة لدى السلطة في قطر، عبر كل حكامها المتعاقبين في عصر النفط.

وتتمثل تلك السياسة في منع قيام أي مؤسسة أو جماعة أو جمعية غير حكومية من المواطنين، ما لم تكن من صنع السلطة ورهن إرادتها وتحت جناح أصحاب النفوذ فيها، بما يسهل تدخل الحكومة في توجيه وإدارة تلك "المنظمات غير الحكومية" . وفي العادة لا تنتظر الجهات الحكومية في طلب تأسيس جمعية او مؤسسة خاصة ذات منفعة عامة، ما لم تكن موافقة أركان السلطة عليها قد تمت قبل تقديم

طلب تأسيسها أو توثيقها. ولي كما لغيري من القطريين في ذلك، تجارب ما زالت رهينة الصمت تنتظر الرد الرسمي دون مجيب منذ سنوات.

لقد تجسدت تلك السياسة في حذر السلطة التام تجاه اي تجمع للمواطنين أو المهنيين يمكن ان يتم التعبير من خلاله عن رأي أو يدافع عن قضية وطنية أو مهنية أو يطرح مطالب جماعية مهما كانت عادلة. فالحاكم في قطر - في العادة - على استعداد لسماع أي مطلب شخصي وربما تلبيته، ولكن لم يحدث أن سمح أي حاكم من حكام قطر منذ حركة ١٩٦٣ الوطنية، لأي كيان أهلي ليس من صنع السلطة، أن ينشغل بالشأن العامة، ولا أقول يشغل بالسياسة فتلك من المحرمات الكبرى المجرمة، في قطر والتي يعاقب عليها القانون حتى اليوم. هذا بينما يعد اشتغال المواطنين بالسياسة والمشاركة السياسية الفعالة في تدبير الشأن العام في العالم، حق ثابت من حقوق الانسان وواجب من واجبات المواطنة لمن هو راغب و قادر على ممارسته.

مثل نادي الطليعة والحقة التي استمر فيها وجوده لعام ونصف العام، حلقة من حلقات نمو وعي الشعب القطري. فقد سبقت نادي الطليعة المكتبة الاسلامية التي أغلقتها الحكومة حوالي عام ١٩٥٤، كما سبقه وتلاه حركة عمالية مطلبية نشطة في قطاع النفط، وبروز جماعات قطرية عبّرت عن نفسها بالمواقف و المناشير السرية، كما عبرت عن وعيها الوطني بالتحامها بالمد القومي العربي وحركات التحرر الوطني، خاصة منذ عام ١٩٥٦.

وقد كان تأسيس نادي الطليعة في أواخر عام ١٩٥٩ حلقة من حلقات العمل الوطني التلقائي، تعبّر عن نمو الوعي الوطني ووصوله الى فئة طلاب المدارس الاعدادية والثانوية. كما جاء التأسيس تعبيراً عن الحاجة إلى الإصلاح وضرورة الدعوة إليه بشكل علني صريح، والعمل على تنمية الوعي بضرورة الإصلاح. وقد استمرت هذه الحالة بعد نادي الطليعة وصولاً الى المطالب الوطنية التي تقدمت بها جبهة العمل الوطني في عام ١٩٦٣ (١).

كما استمرت تلك الروح الوطنية التي كان نادي الطليعة جزءاً منها، حياً يقظة حتى قيام "الحركة التصحيحية" عام ١٩٧٢ وتلبيتها لعدد من المطالب الشعبية المتعلقة برفع مستوى المعيشة بفضل تصاعد عائدات النفط التي صاحبته، إضافة إلى تسوية آثار سياسة السجن والإبعاد والفصل التي اتبعتها الحكومة في الفترة السابقة. فقد جرى توظيف الخريجين القطريين في مراكز حكومية رفيعة وفي السلك الدبلوماسي، فضلا عن الوعود السياسية ومنها الانتخابات الحرة المباشرة التي جاء بها النظام الاساسي المؤقت المعدل لعام ١٩٧٢ ولم تنفذ حتى الان.

وربما يمكننا القول أن هذه الروح الوطنية مازالت موجودة، تعبّر عن نفسها بأشكال مختلفة مهما ضعفت وضاع صوت أهل قطر في خضم الخلل السكاني المتفاقم وطغيان المصالح الشخصية الضيقة على اعتبارات المصلحة العامة.

من هنا يمكن القول أن نادي الطليعة كان حلقة من حلقات العمل الوطني في قطر وكان وجوده ومستوى التعبير العلني والجريء الذي مارسه النادي، دليل وعي وطني يتطور وبشيراً بحركة ١٩٦٣ الوطنية التي حققت للشعب القطري بعض مطالبه، وحملت الحكومة على تبني إصلاح إداري وإطلاق

وعود نجد تفاصيلها التي تستجيب لمطالب حركة ١٩٦٣ وما سبقها، في نص البيان الصادر عن حاكم قطر عام ١٩٦٣ بعد أن سجن وأبعد وفصل الناشطين والفاعلين فيها (٢).

كان نادي الطليعة ظاهرة يتيمة لم تتكرر في قطر منذ ان تم إغلاقه حتى اليوم. فقد كان نادي الطليعة منظمة أهلية مستقلة وناد ثقافي جاد، يعبر عن توجهات أعضائه بحرية وعلنية ومسئولية وطنية. ومن هنا كانت الفترة التي أنشئ فيها نادي الطليعة ومارس نشاطاته فترة استثنائية لم تتكرر. وربما يعود استمرار نشاط نادي الطليعة لمدة عام ونصف، إلى انشغال السلطة حينذاك بتسوية الصراع داخل أجنحتها، تحت رعاية سلطات الحماية البريطانية. وما إن تمت التسوية في أكتوبر ١٩٦٠ حتى أصبح التخلص من نادي الطليعة على قائمة الاولويات ولم يتأخر كثيرا، فقد تم إغلاق النادي بعد حوالي ستة أشهر من تلك التسوية بين الأطراف المتصارعة في الأسرة الحاكمة.

ولتدارك الثغرة التي دخل منها نادي الطليعة، أصدرت حكومة قطر قانون رقم (٦) لسنة ١٩٦٣ بتاريخ ١١-٣-١٩٦٣ قبل قيام حركة ١٩٦٣ بأسابيع، حيث نصت المادة الاولى منه على أنه "لا يجوز فتح ناد رياضي أو ثقافي أو نقله من مكان إلى آخر إلا بعد الحصول على ترخيص خاص بذلك من وزير المعارف بعد الحصول على موافقة الحاكم".

وبعد ذلك بعدة سنوات وحتى اليوم، تم إلحاق كافة الاندية القطرية القائمة بهيئة حكومية لرعاية الشباب لتكون جزءاً من المؤسسات الحكومية. كما جاءت القوانين المتتالية لجمعيات ومؤسسات النفع العام وتطبيقاتها على أرض الواقع، لتمنع قيام أي جمعية أهلية لا تحوز على التزكية الشخصية المسبقة من الحاكم، بصرف النظر عن حيازتها شروط التأسيس من عدمه. ولعل أحدث مثل على هذه السياسة التي تعارض قيام أي مؤسسات أو منظمات أو جمعيات غير حكومية مستقلة، هو تحويل الجمعيات التعاونية الاستهلاكية في قطر منذ بضعة أعوام، على الرغم من نجاحها تعاونيا واقتصاديا وديمقراطيا، إلى شركة مساهمة (شركة الميرة) تملك الحكومة حصة حاكمة فيها، في مخالفة صريحة لقانون الجمعيات التعاونية ساري المفعول في قطر، بل مخالفاً لمبادئ الحركة التعاونية في العالم، ربما بشكل لم يسبق له مثيل في أي بلد آخر.

بعد خروجنا من السجن كان وقت الامتحانات قد حل ولم يتمكن زملاؤنا الطلاب من السجناء من تقديم امتحانات آخر العام الدراسي ١٩٦٠/١٩٦١ وكان بينهم طلاب في ألتوجيهية فأجلوا امتحاناتهم إلى الدور الثاني آخر الصيف. وبعد زيارتي وخالد الربان للشيخ خليفة وخيبة أملنا في عودة افتتاح النادي، بدأنا برنامجا للرحلات. وانطلاقا من العلاقات الشخصية التي نمت بين أعضاء النادي والمتفاعلين مع نشاطاته قبل وخلال حقبة نادي الطليعة وبعد ذلك، كثفنا الاتصالات بين أعضاء النادي وأصدقائهم وتوسعت بذلك واستمرت علاقاتنا وامتدت لتشمل شباباً آخرين تجمع بينهم الهموم الوطنية والاهتمامات العربية المشتركة.

وأول نشاط استمر هو برنامج الرحلات، وقد كان الصيف فرصة طيبة لتكثيف برنامج الرحلات البحرية إلى جبل فويرط بشكل خاص. وفي الشتاء يعود تنظيم رحلات البر وزيارة مناطق مختلفة من قطر. كما كانت اللقاءات بيننا مستمرة، نجتمع في المناسبات وحيث وجدنا مجلسا نجتمع فيه. كما نلتقي

بشكل ثنائي أو أكثر طوال أيام الاسبوع، نتداول الاحداث ونتبادل الآراء باهتمام، لدرجة اننا نقف أكثر من ساعة احيانا، نكمل حديثنا المتصل قبل ان نودع زميلا اوصلناه إلى منزله. وقد استمرت عادة الرحلات ولقاءات المجالس مستمرة حتى اليوم وان اختلف الأشخاص وتغيرت الموضوعات والاهتمامات بطبيعة الحال.

من هنا يمكنني القول انه إذا كان اغلاق نادي الطليعة قد أفقدنا المكان وفرصة انتظام لقاءاتنا وضيق على مجالات نشاطاتنا العامة، فإنه بكل تأكيد لم يقض على روح نادي الطليعة التي استمرت متمثلة حتى اليوم في طيف وطني من القطريين، ولا أقول تيار او حركة أو تنظيم وإنما مجرد طيف من الاطياف الوطنية مثله في المجتمع القطري او البقية الباقية من المجتمع القطري اليوم، مثل لون أحد أطياف قوس قزح متناسقا مع بقية الاطياف الوطنية يشع أو يخفت بقدر انعكاس الشمس على موضعه في قوس قزح

أستمر هذا الطيف الوطني ممثلا في أعضاء نادي الطليعة والمتفاعلين معهم عبر الزمن، تجمعهم القضايا الوطنية والاهتمام بالشئون العربية العامة بالرغم من تغير الأشخاص والاهتمامات ومدى وضوح معالم هذا الطيف أو خفته وفقا للظروف. لقد استمر نشاط هذا الطيف موجودا يلحظه المدقق ويفوت غيره، يعمل إلى جانب أطياف وطنية أخرى. مرة يقوى طيف نادي الطليعة وأحيانا ينتابه الضعف وتعوزه وسائل التعبير، ولكنه استمر قائماً يسهم في الحياة الوطنية بقدر ما تسمح به ظروف قطر وقدرة السلطة على تحمل الرأي الآخر.

وأمل ان يتاح لي خلال كتابة هذه المذكرات الاشارة إلى بعض مساهمات ومشاركات طيف نادي الطليعة في استمرار الروح الوطنية حية يقضه. كما أمل صادقا ان لا يخفت صوت هذا الطيف الطني وأن يبقى ضمير حي وشمعة تضيء مسيرة المجتمع القطري أو ما تبقى منه.

الدراسة هي العوض

في عام ١٩٦١ انتقلت من عملي في قسم التغذية بوزارة المعارف، للعمل في مقر وزارة المعارف في وظيفة مسئول المشتريات المحلية، وأصبح لدي سيارة من الوزارة ومعها سائق.

اعتدت أن أفضي معظم وقت الدوام خارج الوزارة لشراء احتياجات الوزارة من السوق المحلية، وعندما أعود بها أسلمها الى أمين المخزن الزميل حسن نعمه. وهذا من حسن الصدق، فقد كنت التقيت حسن نعمه مرات محدودة وسمعت عنه روايات مختلفة، وها أنا أحتك به يوميا وأتعرّف عليه عن قرب. وجدت في حسن الأديب الشاعر المثقف المحب للمعرفة، كما لمست فيه كرما ووجدت روحا إنسانية حميمة ودودة وتوجهات تقدمية.

توطدت علاقتي مع حسن وأصبح يدعوني إلى منزله ويطلعي على ما لديه من كتب ثمينة في صناديق لا يفتحها إلا لمن يثق به. وكنت استعير منه روايات عالمية مترجمة وكتيبات فكرية تحمل أفكارا اشتراكية لم يسبق لي أن أطلعت عليها. زادت قراءتي لتلك الكتب والكتيبات النوعية من ولعي بالقراءة وشحذت فكري ووسعت من مداركي، وأكسبنتي صديقا من أصدقاء العمر قضيت معه أوقاتا مفيدة وسكنت معه أيام الدراسة في القاهرة وقمنا برحلات جميلة ممتعة كان آخرها إلى سفوح الهملايا في نيبال عام ١٩٨٦.

لم تنقطع يوما مودتي بحسن، بالرغم من اختلاف مواقفنا في الحياة وما قد تسببه من برود في التواصل، ربما بسبب عدم تمييز حسن أحيانا في خضم عمله الدبلوماسي بين الاصدقاء والمعارف، خاصة معارف المنصب والوظيفة. ولكن ذلك البرود الطارئ إن حدث لم يقطع حبل الود بيننا والذي كان يعبر عن نفسه في البعد وفي القرب وينوب جليده بمجرد اللقاء والعناق الحار الذي لا يبخل به الدبلوماسي حسن نعمه على أصدقائه أو معارفه في سياق العمل دون تمييز.

ولا يفوتني ان أذكر كم أحترم واقدر أم حسن، السيدة الفاضلة سارة الباكر الام الحنون الخائفة على أبنها بعد ان عاد إليها من سفرة العراق، التي ظننت انه لن يعود منها. وكم تمنيت لو كانت أمي على قيد الحياة تحيطني بمثل ذلك العطف والرعاية.

لم يستقر مديرا للمعارف في قطر في منصبه خلال تلك الفترة، فقد كان مدير المعارف يتغير كل عام أو عامين، فبعد عبد البديع صقر (اخوان المسلمين من مصر) أول مدير للمعارف في قطر، تولى عبد الله عبد الدائم (بعثي من سوريا) إدارة المعارف في العام الدراسي ١٩٥٧/١٩٥٨، وفي العام الدراسي ١٩٥٨/١٩٥٩ تولى إدارة المعارف عبد الرحمن سمرة (ناصري من مصر)، تلاه مصطفى الدباغ (مؤرخ عربي من فلسطين) في الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦١، وبعده جاء عبد الرحمن عطبة (عروبي - إسلامي من سوريا) فكان مديرا للمعارف في الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٦٣، حيث تولى بعده

منصب مدير المعارف كمال ناجي (أخوان مسلمين من مصر) واستمر مديرا للمعارف لما يزيد على عقدين من الزمن.

وجدير بالملاحظة أن هذه التغييرات المتتالية في إدارة المعارف حتى عام ١٩٦٢، جعلت جهاز الوزارة الفني والإداري متنوعا فكريا في تلك الفترة، يصعب فيه هيمنة تيار عقائدي على كامل الوزارة وتحديد توجهاتها. وبالتالي فإن وزارة المعارف في فترة التغييرات المتتالية لمدير المعارف كانت أكثر مهنية من وقت استمرار واستقرار مدير المعارف، فقد كانت الوزارة منفتحة على منهج الوحدة الثقافية العربية، ومنفتحة تجاه الخلفيات الفكرية لكوادرها وعموم موظفيها، ومرنة في قوانينها وإجراءاتها بما يسهل العملية التعليمية وييسر على طالبي العلم.

بدأت أستعد في بداية العام الدراسي ١٩٦٢/١٩٦١ لتقديم شهادة الثانوية العامة متطلعا للالتحاق بالدراسة الجامعية والتفرغ لها. وكان قد مر على نبلي شهادة الاعدادية ثلاث سنوات وهذا يتيح لي تقديم امتحان التوجيهية نظام ثلاث سنوات وكنت أستعد لذلك، ولكنني علمت أن وزير المعارف جاسم بن حمد قد استثنى بعض طلاب الدراسة الليلية من تقديم الثانوية نظام ثلاث سنوات، وسمح لهم بتقديم شهادة التوجيهية مباشرة أسوة بطلاب الدراسة النهارية المنتظمة.

تقدمت بكتاب الى الوزير، طلبت فيه مساواتي بالطلبة الآخرين. كما طلبت نقلي من عمل مسئول المشتريات المحلية إلى العمل في مكتبة المعارف، كي يتيسر لي التركيز على الدراسة والاستعداد لامتحان شهادة التوجيهية.

قدمت الرسالة لمدير مكتب الوزير رفيق الننتشة ضابط مدرستنا الابتدائية في عام ١٩٥٧ والذي تربطني به علاقة طيبة، فتمت الموافقة على الطالبين، وتم بذلك تيسير مهمة اجتياز امتحان التوجيهية علي بمعدل جيد والالتحاق بالجامعة ؛ حلم جيلنا بشكل عام والهدف العاجل الذي وضعه معظم أعضاء نادي الطلبة نصب أعينهم.

ولا يفوتني أن أذكر أن رفيق الننتشه كان في ذلك الوقت ضمن مجموعة فلسطينية منظمة لحركة فتح ومعه أبو مازن محمود عباس ومحمد يوسف النجار ومحمود المغربي المقدسي (من أصل ليبي) والذي أصبح رئيسا لوزراء ليبيا بعد ثورة ١٩٦٩ في ليبيا، ومعهم عدد آخر يعملون بسرية ولم نكن نعرف صفتهم تلك في ذلك الوقت.

التحقت بمكتبة المعارف فوجدت ترحيبا وتشجيعا من القائمين عليها. كما وجدت زميلي عتيبة خلف العتيبة هناك قبلي يعد نفسه أيضا لتقديم امتحان التوجيهية في ذلك العام، ونشأت بيني وبينه زمالة استفدنا نحن الاثنان منها في المراجعة المشتركة وتبادل الافكار حول ما يسهل اجتيازنا الامتحان بنجاح.

ساعدتني ظروف العمل في مكتبة المعارف على توفير وقت للمراجعة، وكنت في بعض الأحيان أحضر بعض الدروس في المدرسة الثانوية مع طلاب الدراسة النهارية. كان منهج الوحدة الثقافية العربية الذي أعدت تحت إشراف الجامعة العربية، والذي أقرّ في مدارس قطر عام ١٩٥٨ وكان مطبقاً أيضاً في مصر وسوريا والأردن، منهجاً علمياً مدروساً ومتناسقاً من الناحية المعرفية والفكرية ومشبعاً بالروح العربية-الإسلامية دون تعصب أو ضيق أفق.

ومن المواد التي أخذت بها وأثرت على تفكيري، مادة الفلسفة التي كنت أدرسها لأول مرة وكان موضوع الدراسة "نظرية المعرفة" من كتيب ألفه زكي نجيب محمود المفكر والفيلسوف العربي-المصري. وكانت فكرة النسبية في المعرفة وتغير الفهم عبر الزمن وتقدم المعرفة ووفق زاوية النظر، أكثر ما أثرا في فكري ونفسي، حيث لم أعد آخذ بالمسلمات ولا أقبل فكرة إلا بعد أن أمحصها وأضعها على ميزان العقل وأغلب وأغلب وجهات النظر من زوايا مختلفة.

وقد أتعبتني تبعات النظر العقلي في حياتي وضيق علي العيش الذي كان يقبله غيري وينعم به، مذكرة بقول المتنبي " ذو العقل يشقى في النعيم بعقله... ". ولكنني غير آسف على ذلك فمتعة التفكير العقلي واتساقه عوضتني عن متاعه وبفضلها كسبت نفسي واحترمت ذاتي.

وكذلك شدتني في منهج التوجيهية، القصة العالمية المترجمة التي كانت مقررة علينا في مادة اللغة العربية وعنوانها " الارض الطيبة " لجان بريك، وتحكي الرواية قصة الصين قبل انتصار ثورتها العظيمة، عبر حياة الريف في وقت الصراعات والمجاعات والصعوبات التي شهدتها الصين قبل أن تستعيد وحدتها وتحرر من النفوذ الاجنبي الذي مزقها ونشر الفساد في أرجائها. كما وجدت في مادة التاريخ والجغرافيا واللغة العربية ما يجعلني أَرْضَى عن نفسي بوصفي عربياً وأطلع الى المشاركة في إحياء دور الامة العربية وإعادة مجدها.

حان وقت الامتحان الذي يكرم المرء فيه أو يهان، وكان امتحانا مصيريا بالنسبة لي. استعددت للامتحان وأقدمت عليه مع زملائي في الدراسة الليلية والنهارية وكان النجاح من نصيبي، وربما كنت من بين أعلى الطلاب معدلا في التوجيهية في العام الدراسي ١٩٦١/١٩٦٢، حيث نجحت في جميع المواد من الدور الاول وحصلت على معدل ٦٧% وكان ذلك المعدل يعتبر مرتفعا في ذلك الوقت.

عندها بدأ التفكير الجدي في الدراسة الجامعية التي تقدمت لوزارة المعارف للالتحاق بها، وكان علي في ذلك الوقت أن أستقيل من عملي في وزارة المعارف، فاستقلت وأمري الى الله بالرغم من حاجتي للراتب.

اخترت كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة، لما سمعته من أحمد الخال عن الكلية من تميز وجدية وهيئة تدريس من أفضل الأكاديميين المصريين. لذلك وضعت اختيارا واحدا في استثمار الرغبة التي تطلبها المعارف وتصر على ذكر ثلاث خيارات دراسية للطلاب فيها. وكان اختياري الوحيد هو كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة فقط. وقلت لمسئول البعثات عندما أعترض على وضعي رغبة واحدة، انني مستعد لإعادة دراسة التوجيهية وتقديم امتحانها في العام القادم ان لم يتم قبولي في هذا العام في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

وبفضل الله وتوفيقه تم قبولي في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية كما تم قبول الصديق أحمد خليفة السويدي في الكلية نفسها. وقبول عبد العزيز نعمه وراشد عبد الله النعيمي وعلي جاسم مفتاح في الكليات التي طلبوا الالتحاق بها في جامعة القاهرة. وكان عدد من زملائنا أذكر منهم محمد يوسف العالي وخالد الربان وعيسى غانم الكواري ومبارك سعيد العلي وخليفه العسيري قد اختاروا الدراسة في بريطانيا فكان لهم ما ارادوا.

أم غويلينه

في أواخر عام ١٩٦١ انتقل والدي من الرفاع إلى بيتنا الجديد في أم غويلينه. وحي أم غويلينه مختلف بعض الشيء عن بقية مناطق الدوحة في ذلك الوقت، يستحق منا وقفة للتعرف على جزء من حياة أهل قطر في ذلك الحي الجديد المختلف، الذي سكنا فيه حتى عام ١٩٧٨، وتشكل فيه جزء من وعيي العام وعلاقتي الاجتماعية والعائلية.

فريخ أم غويلينه لا تسكنه عائلة أو قبيلة أو طائفة أو فئة أو أهل منطقة معينة من القطريين، مثلما هو الحال في سائر الأحياء القديمة والضواحي في مدينة الدوحة، وإنما سكانه من مختلف مكونات الشعب القطري دون تركيز لأي مكون من مكوناته يسمح بنسبة أم غويلينه إليه، أو أن يدعي أحد من سكانها أنه كبير أم غويلينه أسوة ببقية الأحياء والقرى في قطر.

ولذلك كان سكان أم غويلينه يتصرفون باعتبارهم مواطنين كادحين لا فضل لأحد عليهم، وليسوا بتابعين لأحد ولا محسوبين على أحد. يشعرون بالمساواة فيما بينهم، متقاربون في مستوى المعيشة، أغلبهم من العمال والموظفين في شركات النفط وفي الحكومة أو متقاعدين أو مسرحيين من شركة نفط قطر. يمتلك بعضهم سيارات نقل عام أو سيارات أجرة ويشغلون عليها، منتسبون لمنظمة سيارات الاجرة الوطنية التي تدافع عن حقوقهم. وبشكل عام يمكننا القول أن سكان أم غويلينه في ذلك الوقت متنوعين ولكنهم مندمجين وطنيا إلى حد كبير، وتجمعهم مشاعر هي إلى المعارضة والانتماء القومي العربي أقرب.

بعض سكان أم غويلينه من النازحين من قرى شمال قطر التي تحولت معظمها إلى أطلال بسبب عدم تنمية تلك المناطق وأعمارها، وقسم كبير منهم من العائدين من الهجرة إلى البحرين والمملكة العربية السعودية، الذين ذهبت عائلاتهم بعد عام ١٩٣٠ من أجل كسب الرزق و فرص العمل التي أتاحتها صناعة النفط في البلدين المذكورين. وذلك قبل أن تبدأ صناعة النفط في قطر عملية الاستكشاف والتطوير في دخان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. وهناك أيضا نازحون من بعض أحياء الدوحة القديمة.

وبذلك يمكننا القول أن تركيبة سكان أم غويلينه أقرب إلى تكوين الشعب القطري وطبيعة مشاكلهم المعيشية ومصالحهم وتوجهاتهم الوطنية أقرب إلى عامة الشعب القطري من غير المتمتعين برعاية خاصة من السلطة أو محسوبين عليها. ومن هنا كان سكان أم غويلينه من أكثر المناصرين لحركة ١٩٦٣ الوطنية والتحركات العمالية ومطالبهما المعيشية والسياسية.

أم غويلينه كانت ارض فضى غير مأهولة قبل عام ١٩٥٠. وحسب ظني اكتسبت أم غويلينه تسميتها من منطقة تقع في الشمال الغربي منها، قريبة اليوم من مكتبة الشيخ علي بن عبد الله. كان ذلك

الجزء من أم غويلينه مصدرا للطين الأحمر الذي كان يستخدم في البناء قبل استخدام الاسمنت في قطر. ولذلك كانت أم غويلينه مليئة بالحفر التي استخرج منها الطين الأحمر، تتجمع فيها مياه الأمطار وتجعل منها غيلاً من الطين. والغيلة عند أهل قطر تعني خلط الماء بالطين وتخميره حتى يكون لزجا صالحا لعمل اللبن والبناء به، بدلا عن الجبس والاسمنت.

ولعل أم غويلينه أخذت اسمها من هذه الغيل فسميت أم غويلينه. هذا ما أرجحه وأرحب بسماع رأي من لديه تفسير آخر لتسمية أم غويلينه باسمها. وقد ارسل لي الصديق سعد المهندي قبل نشر هذا الفصل، "تويت" صادر من هتمي الهتمي ذكر أن "من شجر السمر أو الطلح شجرة تسمى أم الغيلان" وام أغويلينا أخذت اسمها من وجود شجرة من هذه الاشجار في منطقتها.

تقع أم غويلينه جنوب شارع رأس أبو عيود (جنوب الدائري الثاني) من جنوب جسر رأس أبو عيود (موقع مسجد أبو بكر الصديق اليوم) شرقا، إلى دوار بترول الشعب (بناية الفولس واجن) غربا، وتمتد جنوبا حوالي ٢ كم حتى فريج اسحاق في الجنوب الغربي، ومنه شرقا إلى فريج النعيم وتليه منازل العفصان في الجنوب الشرقي من أم غويلينه.

كانت أم غويلينه أرضاً فضاءً غير مسكونة حتى عام ١٩٥٢ وكان بها مزارع صغيرة قليلة ماؤها خريج، أنشئت الحكومة بجوارها مزرعة ربما في عام ١٩٥٢، عرفت بمزرعة المستشار لأن المستشار الإنجليزي لحكومة قطر أتخذ هذه المزرعة استراحة له في الاجازات.

وبسبب تردد المستشار الانجليزي على مزرعة الحكومة واهتمامه بزراعة خضار فيها يباع في السوق، يبدو أن المستشار أو أحد موظفيه قد فكر في حجز وتخطيط منطقة أم غويلينه، لكي لا يضع كبار واضعي الايدي على اراضي الفضاء، أياديهم على مساحات كبيرة منها، أسوة ببقية اراضي الفضي المحيطة بأحياء الدوحة القديمة.

فكر المستشار بعقليته الانجليزية الادارية المنظمة في حاجة القطريين المستقبلية لأراضٍ بينون عليها مساكنهم، لاسيما النازحون منهم من قرى شمال قطر والعائدون من الهجرة ومن ليس لديه سكن من سكان الأحياء القديمة في الدوحة وضواحيها. وذلك في ضوء ما يلاحظ من نمو سكاني في مدينة الدوحة وضواحيها في تلك الفترة حيث ارتفع تقدير سكانها من حوالي ١٠ الاف عام ١٩٤٥ إلى حوالي ٢٠ ألف عام ١٩٥٢. ولذلك بدأ المستشار في عام ١٩٥٢ بحجز منطقة أم غويلينه والقيام بتخطيطها إلى قسائم سكنية مساحة كل منها ٦٠ في ٨٠ قدم ، ثم قام المستشار بتوزيعها وفقا للحاجة إليها. وفي عام ١٩٥٥ تم تخصيص قسيمتين متلاصقتين لوالدي، واحدة باسمه و الأخرى باسمي.

انتقلنا إلى بيتنا الجديد في أم غويلينه في أواخر عام ١٩٦١، وكان بيتنا الجديد أفضل من بيت الحكومة في الرفاع الذي ضاق بنا، حيث يضم المنزل الجديد خمس حجرات ومجلساً كبيراً نسبياً وآخر للجلسات اليومية. وكذلك كانت بيوت متوسطي الحال من أهل أم غويلينه التي لم تكن من أوائل من سكنها. عندما سكننا أم غويلينه كان هناك مساكن حكومية في الشمال الشرقي منا مثل المساكن التي كنا نسكنها في الرفاع، وهناك مناطق متفرقة منها مسكونة أو قيد البناء.

كان أقرب الجيران لنا أحمد ابراهيم الهيل وعائلته وبيتهم مقابل لبيتنا وأحمد وعائلته من أعز أصدقاء الوالد والعائلة، أبناؤه الصغار يلعبون في بيتنا ومجلسنا واحد. كان أصغر أبناء احمد الهيل اسمه عبد الله ولد في عام ١٩٦٢ قبيل الثورة في اليمن، وكان عبد الله شديد العند قوي المراس، لا يسكت إذا بكى حتى يظهر الدم من فروة رأسه أثناء زحفه وتنتططه على ظهره في الحوش على البلاط، يصرخ بعزم وتصميم. لذلك اعتبرت شقيقتي أم محمد وكانت متأثرة بالأحداث القومية في تلك الفترة، أن قوة بأس الطفل عبد الله دليل جسارة وتصميم لا يضاهاها إلا جسارة المشير عبد الله السلال الذي قاد الثورة ضد إمام اليمن في سبتمبر عام ١٩٦٢، فسمته السلال وقد جرى عليه ذلك اللقب حتى غلب على اسمه وأصبح يعرف بالسلال إلى ان أصبح ضابطا في سلاح المدفعية وربما بعد ذلك.

وإلى الشرق مننا يقع بيت حسن وأحمد السعدي. أما الأرض الملاصقة لبيتنا بعد أن باعها والدي على أحمد خليفة السويدي بمبلغ ٢٥٠٠ روبية، باعها احمد السويدي بدوره على جاسم بن عبد العزيز المناعي (جاسم مطوع) امام وخطيب مسجد الجمعة في أم غويلينه ومدرس العلوم الشرعية في مدرسة الخليج العربي الابتدائية. وقد سكنها جاسم وعائلته بعد أن أقام عليها بيتا.

وقد كان جاسم مطوع وعائلته خير جيران، ارتبطنا عائليا بهم وارتبطوا بنا طوال عقدين من الزمن، مدة تجاورنا معهم، لم يمر يوم إلا وضحن من غدائهم على سفرتنا ومثله منا على سفرتهم، وكان طبّاخ أم أحمد بديعاً، لا تحلو وجبتنا دون شم رائحة بهاراتها وتذوق طبخها اللذيذ.

وإلى الشمال القريب منا يسكن أحمد بن ابراهيم المناعي عم راشد المناعي، وأحمد بن حنبل السويدي وسُلطان الجزيري، وملاصقا لبيتنا من الخلف بيت والدة الصحفي أحمد علي وأبناؤها، وإلى الجنوب منهم حجي بن مطلق ومبارك بونجوم السليطي وعلي وشاهين بن صالح الكواري وأحمد بن أحمد المناعي وجاسم وعمه جابر أبو إبراهيم جابر الخبير في العملات الإسلامية في متحف قطر. يليهم جامع الصومالي الذي عاش منذ صغره في أبو ظبي وهاجر من أبو ظبي مع بعض أهلها إلى قطر وعاد معهم.

وجامع هذا رجل كريم وظريف ولكنه عصبي عالي الصوت لا يرضى بالغلط أبداً، وقد كان أحمد خليفه السويدي من المترددين على مجلسه، وعندما عاد أحمد وجماعته إلى أبو ظبي كان جامع في مقدمة من عاد معهم.

و إلى الغرب من بيتنا يسكن علي بن دسمال وعبد الله بن أحمد وعلي بن سالم الكواري وغيث بن عبد الله، الذي هو بمثابة ابن لوالدي. وفي الغرب البعيد بعض الشيء من منزلنا كانت نزلة البوكوارة ومنهم يوسف بن محمد وابنه محمد ويوسف بن ابراهيم وعدد من البنغيث والبنعيد وغانم بن محمد ومبارك وأحمد بن شاهين وسعد بن دلهم والدسمال وشعيل وزوجته دوله (أم احمد) وجدة الفنان فرج دهام واخزانه. وشعيل ودوله هم من اقرب أصدقاء عائلتنا الدائمين منذ قبل وفاة والدتي في البحرين عام ١٩٤٩، وبعد ذلك.

وإلى تلك المنطقة من أم غويلينه انتقل فيما بعد نادي الجزيرة الاجتماعي الذي أنشأته شركة شل قطر للعاملين فيها، وأصبح ملتقى عدد من الشباب والطلاب من أبناء العاملين في الشركة وغيرهم،

الذين اشتهروا بالمناقشات الوطنية ومتابعة الاحداث القومية، كما كانت لهم مساهمة في التحركات الشعبية.

والى الشرق بعيداً بعض الشيء عنا، يسكن المناعة ؛ ومنهم عبدالله بن سعد ، صديقي ووالد زوجتي أم خليفة و عبد الله بن أحمد المناعي والد الصديق علي المناعي، وابراهيم بن علي والد عبد الرحمن المناعي أحد مؤسسي فرقة الاضواء الموسيقية آن ذاك والذي ربطتني به علاقة صداقة قوية أيام برادات الأمل. وإلى الجنوب منهم ، محمد عبد العزيز المناعي و محمد بن فرج المناعي وأحمد سليمان الهيل وخليفة غانم الكبيسي زميلنا في نادي الطليعة، وغلوم وابنه محمد بو الفين زميلي في دخان، والمطرب الشعبي الشهير سالم فرج وعيسى بوحقبة وأبناءؤه. وفي أقصى الشرق الشمال تقع منازل سعد بن صباح و سالم بن راشد الكواري وهو بمثابة العم لي والأخ لوالدي وقد تسنى لي حضور الكثير من جلسات التشاور بينهما في شئون شخصية وعائلية .

وفي جنوب شرق أم غويلينه يقع فريج النعيم وفريج العفصان، وإمام مسجد منطقتهم راشد بن سلطان الكواري، وعدد من العائلات القطرية الكريمة التي جعل تواجدها جميعا في جيرة طيبة، من أم غويلينه حيا مختلفا وجامعا للنسيج القطري بكل مكوناته وتوجهاته الوطنية، من تذكرت منهم وأعتذر لمن لم أُنذكر.

ولا يفوتني أن أذكر بأن مجتمع أم غويلينه كان وسطاً مشجعاً للتعليم، حريصاً على تعليم أبنائه وبناته وتمكينهم من الدراسة. يشجعون أبناءهم على السفر في البعثات الجامعية خارج قطر بدلا من عملهم الذين هم في امس الحاجة لراتبه.

وقد برز من بين أطفال وشباب وشابات أم غويلينه في ذلك الوقت، عدد كبير من الكتاب والأدباء والفنانين والتربويين والكوادر الادارية والمهندسين والأطباء ومن الناشطين في الشأن العام، يضيق المجال عن ذكر اسمائهم ومجال تميز كل منهم وما حققه من حراك اجتماعي بفضله التعليم. وذلك لكثرتهم وكثافة حضورهم على المستوى الوطني، وخشية اغفال ونسيان من يستحق الذكر منهم.

تفاعل أهل أم غويلينه من خلال علاقاتهم الاجتماعية و مجالسهم التي قامت بدور كبير في تعارفهم وتواصلهم واندماجهم وتكوين رأي عام بينهم، بعد أن انتقلوا إلى ذلك الحي الشعبي الجديد دون معرفة سابقة ببعض في الغالب. ومن فضائل حي أم غويلينه انه ليس هناك مجلس أفضل مكانة من مجلس آخر أو يشكل مجلس كبير الحي أو فريج من فرجانه. تقف كل المجالس على قدم المساواة وينتقل الجيران من مجلس إلى آخر بحسب الترتيب الذي يوائمهم ويرتاحون له.

في الجزء الذي نسكنه من أم غويلينه كانت الجلسة تبدأ من مجلس والذي بعد صلاة الفجر بقليل حتى بعد شروق الشمس بحوالي ساعة. يجتمع الجيران المباشرون ويلتحق بهم بعض من أهل أم غويلينه وأقرباء الوالد من خارجها مثل محمد و ابراهيم بن سلطان البو رايح من الريان وابن خالي وصديق الوالد جاسم محمد بن يوسف من فريج بن عمران. ومن خلال جلسة الصباح تلك يستطيع من يريد أن يذهب إلى السوق في الدوحة أن يرافق من لديه سيارة من الحضور.

ثم يبدأ مجلس يوسف بن ابراهيم بعد العودة من السوق حوالي الضحى، وفي العادة يفتح أبو ابراهيم المجلس لأقربائه وجيرانه المباشرين وبقية الزوار سواء أكان موجودا أم غير موجود، فالقهوة وتوابعها محضرة وكل يخدم نفسه. وبعد صلاة الظهر تكون الجلسة في مجلس جاسم مطوع وبعد صلاة العصر عند حجي بن مطلق وبعد صلاة المغرب عند أحمد بن ابراهيم وبعد صلاة العشاء لمن يحب السهر ولعب الدامة تكون الجلسة في مجلس أحمد بن أحمد المناعي.

تلك هي المجالس القريية منا ويسهل المشى اليها، وفي كل منطقة مشابهة أخرى مجالس مناظرة ونظام مماثل. والجلسات المحددة لكل مجلس هي الجلسات العامة لأهل الفريج والتي تغير ترتيبها عبر الزمن، أما بقية الاوقات فان المجالس تستمر مفتوحة وهي في العادة مقر جلوس كبير البيت حتى يحين وقت النوم. تجده في المجلس متى قصدته إن لم يكن في المسجد أو في مجلس آخر أو في السوق أو الشغل ان كان لديه عمل. وكذلك يكون للشباب نصيب من الجلوس الخاص بهم في المجالس مع الآخرين وبدونهم، مادام الابناء راغبين في استضافة زملائهم وربما مذاكرة الدروس معهم.

ومن بين المجالس التي كان للشباب فيها نصيب كبير، مجلس سالم بن راشد الكواري حيث يجتمع حول راشد ومحمد بن سالم العديد من الشباب، لاسيما الدارسون في مصر في حقبة برادات الامل أعضاء نادي طلاب القاهرة في وقت الاجازات الصيفية.

وجدير بالملاحظة أن المجالس القطرية هي ملتقيات أهل قطر العامة، فيها يتم تبادل الأخبار وبتث الهموم ونشر الاهتمامات ونمو التوجهات وبروز المواقف المشتركة، وهي المتنفس الاهلي الوحيد لأهل قطر حتى اليوم، في غياب وجود منظمات مجتمع مدني وحرية تعبير عن الرأي في الصحافة ووسائل الاعلام. وقد قامت ومازالت المجالس ومعها المقاعد النسائية التي تتزايد أهميتها وربما أضيف إليها اليوم الواتس أب whats app والانستاجرام ومختلف وسائط التواصل الاجتماعي، وإن كانت موضوعات اليوم واهتمامات التواصل الافتراضي تختلف من وقت لآخر ومن وسيلة و فئة اجتماعية لأخرى.

ولا يفوتني أن أذكر مسجد الجمعة في أم غويلينه وإمامه وخطيبه جارنا جاسم عبد العزيز المناعي. وقد بني ذلك المسجد على نفقة السيدة بنى الدرويش واستحوذ على اهتمام أهل أم غويلينه، ثقة وتقديرا لإمامه وخطيبه الرجل المعتدل المتنور محل ثقة أهل تلك المنطقة من أم غويلينه. وقد اختار الشيخ يوسف القرضاوي ذلك المسجد لإلقاء خطبه بعد انتهاء صلاة الجمعة لكثرة مرتادي ذلك الجامع من أهل قطر، فضلا عن كون أغلبهم من المهتمين بالشأن العام ومن مؤيدي جمال عبد الناصر والتي كانت خطب القرضاوي تنتقده، ولذلك كان عدد من المصلين حريصاً على مغادرة المسجد فور انتهاء صلاة الجمعة وقبل أن يبدأ القرضاوي في حديثه بعد الصلاة ، رفعا للخرج.

لقد كانت أم غويلينه في تلك الفترة بحق، حي تفاعل فيه القطريون ونما وعي وطني مشترك بين أهلها عبّر عن صورة متقدمة من نمو مفهوم الشعب القطري والذي ظهرت بداياته في دخان. وذلك عندما اجتمع القطريون لأول مرة من مختلف العائلات والمناطق، في مكان سكن واحد غير مسكون

قبلهم وأصبحت بينهم علاقات اجتماعية ومصالح معيشية ومطالب مشتركة، تطورت في اتجاه شعور وطني ومطالب شعبية مشتركة عبرت عنها حركة ١٩٦٣.

أزمة مالية وضائقة في المجتمع

شهدت قطر خلال الفترة التي يغطيها هذا الفصل، أزمة مالية منذ عام ١٩٥٩ نتج عنها ضائقة في المجتمع وتذمر شعبي، اشتد وتفاقم لعدة سنوات بعد ذلك.

في عام ١٩٥٨ بلغ انتاج شركة نفط قطر من حقل دخان أعلى مستوى له وفي عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٠ خفضت الأخوات السبع (شركات النفط الكبرى) أسعار النفط مرتين، كما سبقت الإشارة. وقد نتج عن ذلك انخفاض اجمالي عائدات دولة قطر من النفط من ٢٨٧ مليون روبية في عام ١٩٥٨ إلى ٢٥٩ مليون روبية عام ١٩٥٩ وإلى ٢٦٠ مليون روبية عام ١٩٦٠. وبعد ذلك استقرت العائدات عند ذلك المستوى حتى عام ١٩٦٣ قبل أن يبدأ تدفق عائدات النفط تدريجيا منذ عام ١٩٦٤ من الحقول البحرية ضمن امتياز شركة شل قطر (٣).

وقد جاء هذا الانخفاض في عائدات قطر من النفط، في وقت تزايدت فيه مخصصات الأسرة الحاكمة متضمنة ربع الحاكم من عائدات النفط، لتناهز ٥٠ % في عام ١٩٦٠. ولذلك تم الاتفاق عند التسوية في ١٤ أكتوبر ١٩٦٠ بأن لا تتجاوز مخصصات الأسرة الحاكمة ٥٠ % من عائدات النفط، كما سبقت الإشارة. ولم يبق للحكومة سوى ٥٠ % من عائدات النفط يذهب قسم منها للاستثمار في بريطانيا.

هذا في وقت تزايد فيه عدد سكان قطر من حوالي ٢٥ الف في عام ١٩٥٢ إلى حوالي ٥٠ الف في عام ١٩٦٢. كما تضاعف عدد المواطنين بسبب عودة القطريين المهاجرين الى البحرين والمملكة العربية ومنح الجنسية لآخرين.

ونتيجة لذلك تراجعت مستويات المعيشة وتردت الخدمات العامة وتفاقت مشكلة البطالة بين القطريين، بسبب الفشل في إيجاد فرص عمل جديدة فضلا عن توقف شركة نفط قطر عن توظيف القطريين، بل عمدت الى تسريح الفائضين عن حاجتها بعد أن استقر انتاج النفط واكتملت البنية الأساسية لإنتاجه في دخان وتصديره من مسعيد.

لمعالجة تلك الازمة المالية والتخفيف من الضائقة في المجتمع ومواجهة تزايد الوعي الوطني، بدأت حكومة قطر اعتبارا من عام ١٩٦١ بإصدار عدد من التشريعات في شكل قوانين ومراسيم لأول مرة، بهدف تنظيم الحكومة وتأهيلها لمواجهة الأزمة المالية والضائقة في المجتمع، دون أن تعيد السلطة النظر في نمط تخصيص عائدات النفط وامتيازات الأسرة الحاكمة، أو تلتفت بشكل كاف إلى ضرورة الاسراع في خلق فرص عمل جديدة و تطوير، فضلا عن الحاجة المتزايدة للخدمات الاجتماعية والضمان الاجتماعي وتشبيد البنية الأساسية التي تتطلبها مواجهة الازمة المالية والضائقة في المجتمع.

اتخذت أولى خطوات تنظيم الحكومة بإصدار ثلاثة مراسيم في ٥ نوفمبر ١٩٦٠: أولها: إنشاء وزارة المالية، وثانيها: تعيين وزير المالية، وثالثها: إنشاء مجلس استشاري لشئون المالية العامة.

وقد جاءت هذه المراسيم بعد ١١ يوم من التسوية وتولي الشيخ أحمد الحكم وتسمية الشيخ خليفة وليا للعهد ونائبا للحاكم. وبتعيين الشيخ خليفة وزيرا للمالية أصبح هو المشرف على الادارة العامة وحل مكان المستشار الانجليزي، الذي غادر البلاد قبل ذلك بقليل.

ومنذ ذلك التاريخ داوم الشيخ خليفة في دار المستشارية وتمتع بكافة صلاحيات المستشار، وأحكم قبضته على الادارة العامة والمالية العامة بشكل خاص، وقد كان ذلك من الشروط غير المعلنة لتسوية عام ١٩٦٠ حسب تقديري.

وصدرت بعد ذلك القوانين والمراسيم المنظمة للإدارة العامة. وكان أولها قانون رقم (١) لسنة ١٩٦١ بإنشاء الجريدة الرسمية، ومذكرة تفسيرية لذلك القانون نصت على ضرورة نشر كل القوانين والمراسيم والقرارات في الجريدة الرسمية لتكون سارية المفعول. وصدر بعد ذلك قانون الجنسية القطرية رقم (٢) لسنة ١٩٦١ والقانون رقم (٣) لسنة ١٩٦١ بتنظيم شركات المساهمة.

وفي عام ١٩٦٢ استمرت عملية إصدار القوانين، فصدر قانون رقم (١) لسنة ١٩٦٢ بتنظيم الادارة العليا للإدارة الحكومية. وبذلك أصبح مبنى المستشارية يسمى دار الحكومة وعلى رأسها الشيخ خليفة ولي العهد ونائب الحاكم ووزير المالية. وصدر القانون رقم (٢) لسنة ١٩٦٢ بتنظيم السياسة المالية العامة في قطر وقانون العمل رقم (٣) لسنة ١٩٦٢ وقانون رقم ٤ بإنشاء محكمة العمل والقانون رقم (٥) بإصدار قانون المرافعات أمام محكمة العمل.

تتالت القوانين عام ١٩٦٢ وكان آخرها قانون رقم (١١) لسنة ١٩٦٢ بإنشاء نظام السجل التجاري. ويلاحظ أن الهدف من هذه القوانين كان محاولة خلق اطمئنان لدى المواطنين بالحد من التجنيس العشوائي، وأرضى التجار بتنظيم منافسة التجار الوافدين للتجار القطريين في التجارة والمقاولات والاعمال، إضافة إلى حماية العمال من الفصل التعسفي وتنظيم لجوئهم لمحاكم العمل. وجدير بالملاحظة أن تلك المسائل كانت موضوعا للمطالبات الوطنية وسوف تبرز في عريضة ١٩٦٣ الشعبية.

كما صدر بتاريخ ١٧ فبراير ١٩٦٢، مرسوم رقم (١) لسنة ١٩٦٢ بتعيين المستشار القانوني للحكومة وكان ذلك المستشار هو الدكتور حسن كامل الذي استمر في منصب المستشار القانوني لعدة عقود خلال عهد الشيخ أحمد والشيخ خليفه وقام بصياغة كافة القوانين الصادرة خلال أكثر من ثلاثة عقود.

كما أصدر نائب الحاكم في نفس التاريخ ١٧ فبراير ١٩٦٢ قرار رقم (١) لسنة ١٩٦٢ بتعيين مدير عام للحكومة، وكان هو أيضا حسن كامل الذي أصبح مديرا عاما للحكومة إلى جانب كونه مستشارا قانونيا للحكومة، وربما جاء ذلك التعيين ضمن تنافس الحاكم وولي العهد ونائب الحاكم على ممارسة السلطة على أرض الواقع، فكان وجود حسن كامل الذي ربما نصحت به سلطات الحماية البريطانية ليطمئن الحاكم ونائبه بأنهما في الصورة عند اتخاذ القرارات المالية والإدارية العامة، وألا ينفرد أحدهما بالسلطة التنفيذية.

خلال الفترة التي يغطيها هذا الفصل من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٢، نضج أيضا مفهوم الشعب القطري وبرز كما لم يبرز من قبل تحت ضغط الضائقة المعيشية في المجتمع ونمو الوعي الوطني. فكما سبقت الإشارة شكل القطريون مجتمعا قبل عصر النفط بقرن من الزمن أو يزيد قبل أن تكون هناك سلطة مركزية في قطر (٤). ولكن مفهوم الشعب القطري لم ينمو ويتبلور إلا بعد أن بدأ تطوير صناعة النفط واجتمع أهل قطر من سائر القرى والمدن والقبائل والعائلات في دخان، وأصبحوا يعملون عند رب عمل واحد هو شركة نفط قطر في دخان وزكريت ومسيعيد، توحدهم ظروف العمل والمطالب العمالية المشتركة، بعد أن كانوا قبل بداية صناعة النفط منعزلين عن بعضهم البعض، يعيش كل منهم في منطقة منفصلة في ظل نمط اقتصاد ما قبل النفط التقليدي. وقد سبق لي ان شبهت هذا الوضع السابق لعصر النفط في الفصل الاول من هذه المذكرات بشبه فدرالية. وحتى الاحياء في المدن لا تعدو ان تكون جزراً منعزلة عن بعضها البعض تسكن كل منها في الغالب الأعم عائلة أو قبيلة أو فئة واحدة.

وعندما انتقل القطريون من مختلف الأنحاء والقبائل والعائلات والفئات، للعمل في صناعة استخراج النفط وجدوا مصلحة عامة تجمعهم، تمثلت في تحسين ظروف معيشتهم والحصول على شروط عمل أفضل لدى شركة نفط قطر، فتعاونوا وتوحدت جهودهم في حركة عمالية نشطة أفرزت قياداتها على اساس الكفاءة وقوة الإرادة وحققت مكاسب لعمال النفط مقارنة بغيرهم.

ومع تزايد الوعي الوطني والمد القومي تفاعل عمال النفط مع سكان العاصمة ليكونوا جميعا حركة احتجاجية بدأت بمظاهرات ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثي على مصر، واستمرت لتأخذ شكل حركة وطنية معنية بأحوال أهل قطر والمطالبة بحقوقهم.

ولعل المنشورات التي بدأت مبكرة وموقف الحكومة من عدد من الناشطين منذ عام ١٩٥٤ قد أبرزت وجوه وطنية معارضة إلى جانب الحركات العمالية. وكذلك جاء نادي الطلبة ليعبر عن مرحلة أخرى أخذ الوعي فيها ينتشر و يصل إلى طلاب المدارس ومن في مثل سنهم من الشباب، ولم تجد الحكومة - مع الاسف - سبيلا للتعامل مع هذا الوعي المعبر عن حاجة المجتمع للإصلاح، إلا بقمعه وحجب منافذ ابداء الرأي والتعبير عن الهموم والاهتمامات الوطنية المشروعة.

وفي ظروف الازمة المالية آنذاك والضييق الذي لحق بالمجتمع القطري والتضييق على حرية التعبير، أصبح الشعب القطري مهيباً داخلياً و بسبب تصاعد مطالب الشعوب العربية في حقبة المد القومي العربي، للقيام بحركة ١٩٦٣ الشعبية موضوع الفصل القادم.

إيضاحات

- ١- علي خليفه الكواري ، العين بصيرة ، الطبعة الثانية ، منتدى المعارف ، بيروت ٢٠١٣ ص ١٣١-١٣٥
- ٢- بيان ايضاحي: لمنهاج العمل الشامل لتقدم البلاد ، نشر في الجريدة الرسمية في ١٩٦٣/٦/٣ . انظر : إدارة الشؤون القانونية ، مجموعة قوانين قطر حتى ١٩٦٦ ، مطابع علي بن علي ، الدوحة.
- ٣- أنظر رابط رسالتي لنيل الدكتوراه (١٩٧٤) ص ١٥١-١٥٥ على الرابط التالي:
http://theses.dur.ac.uk/8012/1/8012_5012.PDF?+UkUDh:CyT
- ٤- علي خليفه الكواري ، تنمية للضياع ! أم ضياع لفرص التنمية ؟ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٦ ، ص ٢٠١-٢٢١ .